WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

صورٌ من حياتِه مستخرَجةٌ من كتابِه «غاية النّهاية في طبقات القرّاء»

ملامحُ شخصيّةِ ابنِ الجزريّ

في غيرِ فنِّه

بقلمِ

د. محمودِ بنِ كابرٍ الشّنقيطِيّ

١٤٤٨هـ — ٢٠٢٦م

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM



ملامحُ شخصيّةِ ابنِ الجزريّ في غيرِ فنِّه

صورٌ من حياتِه مستخرَجةٌ من كتابِه
«غاية النّهاية في طبقات القرّاء»

بقلمِ
د. محمودِ بنِ كابرٍ الشّنقيطِيّ

١٤٤٨هـ — ٢٠٢٦م

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الفهرس

المقدّمة ١

دعوةٌ في المدرسةِ النّاصريّة ٣

عينُ المؤرّخ ٥

سعةُ الأفقِ ووفاءُ التّلميذ ٦

عقلٌ يتثبّت ٩

ميزانُ الحكمِ على النّاس ١٢

صحبةُ الكتب ١٣

محنةُ الظّلمِ ومشاهدُ الغزو ١٥

في قبضةِ الملوك ١٧

طريقُ الحرمين ١٨

قافلةُ البيت ٢٠

فقدُ النّابغين ٢٢

سَلْمى ٢٣

صديقٌ وفيّ ٢٥

بين البرِّ والتّحفّظ ٢٧

المنزلُ الأخير ٣٠

الخاتمة ٣١

ثبتُ المصادر ٣٣

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المقدّمة

الحمدُ لله الّذي جعل العلمَ رحِمًا بين أهلِه، ووصل آخرَهم بأوّلِهم بفضلِه، فلا يزالُ اللّاحقُ يأخذُ عن السّابقِ روايةً ودرايةً، حتّى يبلغَ من الإتقانِ الغايةَ، ثمّ يعلمَ أنّ للعلمِ بدايةً وليس له نهايةٌ، والصّلاةُ والسّلامُ على نبيّنا محمّدٍ الّذي أُنزل عليه القرآنُ ميسّرًا للذّكرِ، فتلقّته عنه الطّبقاتُ صدرًا بعد صدرٍ، وعلى آلِه وأصحابِه الّذين حفظوا الحروفَ وأدَّوها، وسمعوا الكلمةَ فوعَوها، وعلى من تبعهم بإحسانٍ ما رتّل قارئٌ آيةً، وقيّد طالبٌ عن شيخِه حكايةً.

أمّا بعدُ، فثمّةَ كتبٌ تدخلُها لحاجةٍ عابرةٍ، ثمّ تخرجُ منها وقد صار بينك وبينها عهدٌ، وكذلك كان شأني مع «غَايَةِ النِّهَايَةِ فِي طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ» لشمس الدّين ابن الجزريّ، فقد عرفتُه أوّلَ الأمرِ مرجعًا لا غنى عنه في بحثي للدّكتوراه، أرجعُ إليه لأوثّقَ اسمَ قارئٍ، أو أضبطَ نسبتَه، أو أحقّقَ وفاتَه، أو أتبيّنَ سندَه، حتّى أحصيتُ أنّي وثّقتُ منه أكثرَ من خمسِمائةِ مرّةٍ، وكانت كلُّ زيارةٍ تبدأُ بحاجةٍ محدودةٍ، سطرٍ أنقلُه ثمّ أمضي.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

غير أنّ الكتابَ لم يكنْ يرضى منّي بهذا القدرِ، فكنتُ أنزلُ إلى التّرجمةِ لآخذَ منها تاريخًا، فإذا في ذيلِها خبرُ جنازةٍ، أو بيتُ شعرٍ، أو نكتةٌ في اللّغةِ، أو حكمٌ في حديثٍ، أو وصفُ بلدٍ، ممّا لا يخطرُ لك ببالٍ أن تجدَه في كتابٍ وُضعَ لتراجمِ القرّاءِ، فأسترسلُ معه وقد نسيتُ ما جئتُ له، وأفرحُ بالفائدةِ العزيزةِ فرحَ من وجد في طريقِه ما لم يكنْ يبحثُ عنه، وما زلتُ أقيّدُ تلك الفوائدَ حتّى بلغتِ الألفَ أو كادت، موزّعةً على فنونِ العلمِ من حديثٍ وفقهٍ وتفسيرٍ ولغةٍ وشعرٍ، وعلى السّيرِ والتّواريخِ والبلدانِ، بل على عواطفَ إنسانيّةٍ لا يظنُّ القارئُ أنّ كتابَ طبقاتٍ يتّسعُ لها.

وفي أثناءِ ذلك كنتُ ألمحُ ابنَ الجزريّ نفسَه في صورٍ متفرّقةٍ، لا تجمعُها صورتُه المعهودةُ في أذهانِ طلبةِ العلمِ، وهي صورةُ المقرئِ الّذي انتهت إليه إمامةُ التّحقيقِ في هذا الفنّ، فكنتُ أراه تلميذًا يمشي إلى شيخِه في جوفِ اللّيلِ، ومؤرّخًا يحدّدُ موضعَ مولدِه بين سورَين، وغريبًا يؤلّفُ في إقامةٍ لم يخترْها، وأبًا يجلسُ في درسِ ابنِه بعد فراقِ عشرين سنةً، وصديقًا يستحيي أن يكلّفَ صاحبَه، ثمّ يمدُّه بالمالِ حين يحتاجُ، وكانت هذه الصّورُ موزّعةً بين ترجمتِه لنفسِه وثنايا

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

تراجمِ غيرِه، وجاء أكثرُها عرضًا، فأبان من شؤونِه ما لا تستوفيه ترجمتُه المفردةُ.

فرأيتُ أن أجمعَها في هذه الكرّاسةِ، وأن أصوّرَه بها كما هو في كتابِه، ولكن من غيرِ الجانبِ الّذي عرفه به النّاسُ، فليس في هذه الصّفحاتِ من مسائلِ القراءاتِ وأسانيدِها إلّا ما لا يستقيمُ الخبرُ بدونه، وكلُّ ما بين علامتَي التّنصيصِ فهو بلفظِه من مصدرِه، إلّا ما نبّهتُ عليه في الحاشيةِ، والإحالةُ إليه في الحاشيةِ عقبَ الفقرةِ، والله الموفّقُ والمعينُ.

دعوةٌ في المدرسةِ النّاصريّة

في سنةِ إحدى وسبعين وسبعِمائةٍ كان شابٌّ دمشقيٌّ في نحوِ العشرين يقصدُ بالقاهرةِ شيخَه شمسَ الدّين ابنَ الصّائغ الحنفيَّ في جوفِ اللّيلِ، نصفَ اللّيلِ وبعدَه، ثمّ يقول: «فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُنِي جِئْتُ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ فِي اللَّيْلِ إِلَّا وَخَرَجَ إِلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى صُفَّةٍ تُجَاهَ دَارِهِ»، فلمّا ختم عليه ختمتَه الثّانيةَ وكتب له الإجازةَ، سأله أن يذهبَ إلى جمال الدّين الإسنويّ، شيخِ الشّافعيّةِ بالمدرسةِ النّاصريّةِ، ليُشهدَه عليها.[1]

(١) غاية النّهاية في طبقات القرّاء (ط. الخانجيّ) ٢- ١٦٤، في ترجمة ابن الصّائغ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وكان الفتى قد أخذ الفقهَ عن الإسنويّ، ولكنّ الإسنويَّ لم يكنْ يعلمُ أنّه يقرأ القراءاتِ، فقال: «وَالْقِرَاءَاتِ أَيْضًا»، فأجابه ابنُ الصّائغ: «وَغَيْرَهَا مِنَ الْعُلُومِ»، ثمّ سأله أن يدعوَ للفتى بطولِ العمرِ، فقال الإسنويُّ كلمةً فيها إشفاقُ الشّيوخِ على النُّجباءِ: «مَا رَأَيْنَا شَخْصًا ذَكِيًّا مِثْلَ هَذَا الشَّابِّ يَكُونُ عُمُرُهُ طَوِيلًا»، فالذّكاءُ النّادرُ، في ما جرّب الشّيخُ، قلّما يُعمَّرُ صاحبُه.(١)

ويحكي الفتى المشهدَ بعد أن صار شيخًا، فيقول: «فَرَفَعَا أَيْدِيَهُمَا وَأَنَا أَنْظُرُ وَدَعَيَا لِي بِطُولِ الْعُمُرِ»، ثمّ يُتبعُها بجملةٍ فيها رضا الشّاكرِ ووحشةُ الباقي، فيقول: «وَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُمَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَرْوِي عَنْهُمَا غَيْرِي».(٢)

> وهذه الحالةُ أختُ الّتي حكاها المقّريُّ عن أبي عبد الله محمّدِ بنِ عبد الرّحمن التّجيبيّ، نزيلِ تلمسانَ، حين ودّع شيخَه أبا طاهرٍ السِّلَفيَّ قافلًا إلى المغربِ، فسأله عمّا كتب عنه، فأخبره بكثرتِه، فقال له: «تَكُونُ مُحَدِّثَ الْمَغْرِبِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى»، قال: «وَدَعَا لِي بِطُولِ الْعُمُرِ حَتَّى يُؤْخَذَ عَنِّي مَا أَخَذْتُ عَنْهُ»،

(١) غاية النّهاية ٢- ١٦٤.

(٢) غاية النّهاية ٢- ١٦٤، وفيه «ودعيا» كذا، والقياس: ودَعَوا.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ومن لطائفِ الاتّفاقِ أنّ ترجمةَ هذا التّجيبيّ في «الْغَايَةِ» تلي ترجمةَ ابنِ الصّائغ في الصّفحةِ نفسِها، فكأنّ الكتابَ وضع الدّعوتَين متجاورتَين.(١)

عينُ المؤرّخ

وأوّلُ ما يلقاك من ملامحِ هذا الوجهِ أنّه كتب ترجمةَ نفسِه في كتابِه بضميرِ الغائبِ، وقد شهد طاشكبري زاده بأنّها من صنعِه، فقال بعد أن نقلها: «هَذَا مَا حَكَاهُ الْجَزَرِيُّ عَنْ نَفْسِهِ»، وذكر أنّه نقلها من خطّه، ثمّ فصل خبرَ وفاتِه، فقال: «وَقَالَ بَعْضُ تَلَامِذَتِهِ بِخَطِّهِ».(٢)

فهو لا يقول «وُلِدْتُ»، بل يقول: «وُلِدَ فِيمَا حَقَّقَهُ مِنْ لَفْظِ وَالِدِهِ فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ دَاخِلَ خَطِّ الْقَصَّاعِينَ بَيْنَ السُّورَيْنِ بِدِمَشْقَ»، وقد يكون ضميرُ الغائبِ جريًا على عادةِ كتبِ التّراجمِ لا أكثرَ، لكنّه حين قال: «فِيمَا حَقَّقَهُ مِنْ لَفْظِ وَالِدِهِ» كشف رجلًا لا يقبلُ تاريخَ مولدِه هو إلّا محقّقًا مسندًا إلى

(١) نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، للمقّريّ، تحقيق إحسان عبّاس، ٢- ١٦٠-١٦١؛ وغاية النّهاية ٢- ١٦٤، التّرجمة رقم ٣١١٢.

(٢) الشّقائق النّعمانيّة، لطاشكبري زاده، ص٢٦؛ ومفتاح السّعادة، له، ٢- ٤٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

قائلٍ معروفٍ، ثمّ لا يرضى بأن يقولَ «بِدِمَشْقَ» حتّى يعيّنَ الحيَّ، ثمّ لا يرضى بالحيِّ حتّى يعيّنَ موضعَه بين السّورَين.(١)

وهذه العينُ المؤرّخةُ لا تفارقُه في كتابِه كلِّه، فهو يرى شيخًا في آخرِ عمرِه فلا يكتفي بذكرِ لقائِه، بل يقول: «رَأَيْتُهُ وَقَدْ ضَعُفَ جِدًّا بِمَنْزِلِهِ بِزُقَاقِ النَّخَّالِينَ بِمِصْرَ فِي رِحْلَتِي الرَّابِعَةِ»، ويفرغُ من تبييضِ كتابِه فيؤرّخُ اليومَ والشّهرَ، ثمّ يضيفُ، فيقول إنّ ذلك كان «بِمَنْزِلِي مِنَ الْقَاعَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِطُغَايَ الْكُبْرَى بِالرَّحْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِكَتْبُغَا دَاخِلَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ»، فكأنّه يكتبُ للقارئ خريطةً لا سطورًا، وكأنّ الخبرَ عنده لا يتمُّ صدقُه حتّى يُعرَفَ مكانُه كما يُعرَفُ زمانُه.(٢)

سعةُ الأفقِ ووفاءُ التّلميذ

ثمّ إنّ هذا الّذي انتهت إليه إمامةُ الإقراءِ في عصرِه لم يكنْ مقرئًا فحسبُ، فقد أخذ الفقهَ عن الإسنويِّ، ورحل إلى القاهرةِ، وقال في ترجمةِ نفسِه إنّه قرأ بها «الْأُصُولَ وَالْمَعَانِيَ

(١) غاية النّهاية ٢- ٢٤٧، في ترجمته لنفسه.

(٢) غاية النّهاية ٢- ٢٤٥-٢٤٦، في ترجمة البلبيسيّ؛ و٢- ٤٠٩، في خاتمة الكتاب.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وَالْبَيَانَ عَلَى الشَّيْخِ ضِيَاءِ الدِّينِ سَعْدِ اللهِ الْقَزْوِينِيِّ»، وأذن له بالإفتاءِ ثلاثةٌ من كبارِ عصرِه، ابنُ كثيرٍ سنةَ أربعٍ وسبعين وهو في الثّالثةِ والعشرين، ثمّ القزوينيُّ سنةَ ثمانٍ وسبعين، ثمّ البُلقينيُّ سنةَ خمسٍ وثمانين.(١)

وجلس إلى المحدّثِ ابنِ هبلٍ، فقال: «وَسَمِعْتُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ وَالْحِلْيَةَ لِأَبِي نُعَيْمٍ وَكَثِيرًا مِنَ الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ لِلطَّبَرَانِيِّ»، ثمّ وصف شيخَه، فقال إنّه كان «صَبُورًا عَلَى السَّمَاعِ»، ولا يصفُ بهذا إلّا من جرّب طولَ تلك المجالسِ، وكان يمشي مع الحافظِ زينِ الدّين العراقيّ إلى شيخٍ قال فيه: «آثَرَ الِانْقِطَاعَ وَالْعُزْلَةَ، وَبَقِيَ فِي خَلْوَةٍ بِسَطْحِ جَامِعِ الْحَاكِمِ، وَسَدَّ عَنْهُ بَابَ الِاجْتِمَاعِ بِالنَّاسِ إِلَّا قَوْمًا مَخْصُوصِينَ»، فكانا من أولئك القومِ، فمن ظنّ أنّ التّخصّصَ عند أولئك ضيقٌ في الأفقِ فقد أخطأ، وإنّما كان تخصّصُهم ثمرةَ سعةٍ لا أثرَ ضيقٍ؛ جابوا العلومَ أوّلًا، ثمّ اختاروا علمًا واحدًا فأقاموا فيه إقامةَ المختارِ لا إقامةَ الحبيسِ.(٢)

---

(١) غاية النّهاية ٢- ٢٤٨.

(٢) غاية النّهاية ١- ٢٠٨، في ترجمة ابن هبل؛ وغاية النّهاية (ط. الصّحابة) ٢- ٦٦٨.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وفي شيوخِه رجلٌ تحسنُ الوقفةُ عنده، لأنّ ذكرَه لا يرفعُ ابنَ الجزريّ في أعينِ النّاسِ شيئًا، وهو إبراهيمُ الحمويُّ، نزيلُ دمشقَ، وقد قال فيه: «أَدَّبَ الصِّغَارَ بِمَكْتَبٍ بِالْعُقَيْبَةِ ظَاهِرَ دِمَشْقَ فَأَخْمَلَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ»، فهو معلّمُ صبيانٍ في طرفِ المدينةِ، لا منصبَ له ولا شهرةَ، ومع ذلك يقول تلميذُه: «تَرَدَّدْتُ إِلَيْهِ كَثِيرًا»، ويقول: «وَعَلَيْهِ ارْتَاضَ لِسَانِي بِالتَّحْقِيقِ»، ثمّ يشهدُ له بعد أن لقي من الشّيوخِ من لقي، فيقول: «وَلَمْ تَرَ عَيْنَايَ مِنْ شُيُوخِي أَعْلَمَ بِالتَّجْوِيدِ مِنْهُ وَلَا أَصَحَّ تَلَفُّظًا وَتَحْرِيرًا»، ويختمُ ترجمتَه، فيقول: «وَجَزَاهُ عَنِّي أَفْضَلَ الْجَزَاءِ»، فما أسقط خمولُ الرّجلِ عند النّاسِ منزلتَه عند تلميذِه، ومن وراءِ إمامِ القرّاءِ ترى هنا تلميذًا لم ينسَ من علّمه.(١)

> ولسانُ حالِه ما قاله ابنُ شَرَفٍ القيروانيُّ في جملةِ حِكَمِه الّتي رواها العمادُ الأصبهانيُّ، إذ قال: «طُولُ الْخُمُولِ أَحَدُ الْقَبْرَيْنِ، وَبَقَاءُ الثَّنَاءِ أَحَدُ الْعُمُرَيْنِ»، فقد عاش الحمويُّ خاملَ الذّكرِ، فحفظ له ثناءُ تلميذِه ذكرًا يتجدّدُ كلّما قُرئت ترجمتُه.(٢)

(١) غاية النّهاية ١- ٣٠-٣١، في ترجمة إبراهيم الحمويّ.

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصبهانيّ، قسم شعراء المغرب والأندلس ٢- ٢٢٧، في ترجمة ابن شرف، وفي المطبوع «أحدالعمرين» متّصلةً.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

عقلٌ يحبّب

ومن كانت هذه سعتَه لم يحبسْ قلمَه في فنٍّ واحدٍ، فهو يقول في ترجمةِ نفسِه إنّه لمّا حُمِلَ إلى ما وراءَ النّهرِ «أَلَّفَ شَرْحَ الْمَصَابِيحِ فِي ثَلَاثَةِ أَسْفَارٍ وَأَلَّفَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ»، وأنّه نظم «الْجَوْهَرَةَ» في النّحو، ويحيلُ على كتابٍ له في طبقاتِ النُّحاةِ، ويذكرُ منظومةً له في علومِ الحديثِ.(١)

على أنّ أظهرَ ما يدلُّ على عقلِه في غيرِ فنِّه طريقتُه في التّثبّتِ، فقد سمع أنّ «قَالُونَ» كلمةٌ روميّةٌ معناها الجيّدُ، فلم يكتفِ بالنّقلِ، بل سأل أهلَ تلك اللّغةِ أنفسَهم، ثمّ دوّن الجوابَ بدقّةِ من يسمعُ بأذنِه، فقال: «سَأَلْتُ الرُّومَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا: نَعَمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ نَطَقُوا لِي بِالْقَافِ كَافًا عَلَى عَادَتِهِمْ»، فلم يكفِه أن يصحَّ عنده المعنى حتّى سجّل أنّهم ينطقون القافَ كافًا، وتلك ملاحظةُ من يُصغي إلى الأصواتِ، لا من يقرأُ في الكتبِ وحدَها.(٢)

---

(١) غاية النّهاية ٢- ٢٥١؛ و١- ٦١٣، في ترجمة عيسى بن عمر الثّقفيّ؛ و١- ١٣٠، في ترجمة ابنه أبي بكر أحمد.

(٢) غاية النّهاية ١- ٦١٥، في ترجمة قالون.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ونظيرُها ما قيّده ابنُ خلدون، وهو من أقرانِه في العصرِ، عن بوادي العربِ في زمانِه، فقال في نطقِهم بالقافِ: «فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِهَا مِنْ مَخْرَجِ الْقَافِ عِنْدَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ... بَلْ يَجِيئُونَ بِهَا مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ لِلْجِيلِ أَجْمَعَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ غَرْبٍ أَوْ شَرْقٍ»، فالقافُ الّتي سمعها ابنُ الجزريّ كافًا في الرّومِ سمعها ابنُ خلدون بين الكافِ والقافِ في البوادي، وكلاهما دوّن ما سمع كما سمع.(١)

ويسمعُ أنّ ابنَ مالكٍ لا يُعرَفُ له شيخٌ في العربيّةِ، فيردُّ ذلك بعبارةٍ فيها أنفةُ المحقّقِ من القولِ الشّائعِ، فيقول: «وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ مُنْتَحِلِي الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ شَيْخٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَلَا فِي الْقِرَاءَاتِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ»، ثمّ يسردُ شيوخَه، فالقولُ الشّائعُ عنده لا يصيرُ صحيحًا لأنّ النّاسَ تداولوه.(٢)

(١) مقدّمة ابن خلدون، ضمن تاريخه ١- ٧٦٨، في الفصل السّابع والأربعين.
(٢) غاية النّهاية ٢- ١٨١، في ترجمة ابن مالك.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وكان أبو حيّانَ ممّن أشاع ذلك، حتّى قال معرّضًا بابن مالكٍ:

يَظُنُّ الْغُمْـرُ أَنَّ الْكُتْـبَ تَهْدِي • أَخَـا فَهْـمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُـومِ
إِذَا رُمْـتَ الْعُلُـومَ بِغَيْـرِ شَيْخٍ • ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيـمِ[1]

وتزدادُ ثقتُك بهذا المتثبّتِ حين تراه يراجعُ ظنَّه هو، ففي ترجمةِ شيخِه أبي بكرٍ ابنِ الجنديّ يعدُّ في شيوخِه محمّدَ بنَ إبراهيمَ القصريَّ، ثمّ يقول: «فِيمَا كُنْتُ أَظُنُّ، ثُمَّ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِ»، فأبقى الظّنَّ الأوّلَ وتصحيحَه في عبارةٍ واحدةٍ، وأطلع قارئَه على ما تبدّل من علمِه، ولم يقدّمِ النّتيجةَ كأنّها كانت معلومةً عنده من أوّلِ الأمرِ.[2]

> وقريبٌ منها ما أوصى به عمرُ بنُ الخطّاب أبا موسى الأشعريَّ في كتابِه إليه في القضاءِ، فيما رواه الجاحظُ، إذ قال: «وَلَا يَمْنَعْكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ فَرَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ، وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ، أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ»، فرجوعُ ابنِ الجزريّ عن

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيّان، ٥- ١٩٩، وقالها فيه في ابن الفخّار المالقيّ، وفيه «تُجدي»؛ ثمّ أعادها في سياق كلامه على ابن مالك، كما نقل عنه ناظرُ الجيش في تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٩- ٤٤٠٩؛ والوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لأحمد بن الأمين الشّنقيطيّ، ص٣٥.

(٢) غاية النّهاية ١- ١٨٠، في ترجمة ابن الجنديّ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ظنِّه في كتابٍ سيبقى بين أيدي النّاسِ جريٌّ على هذه الوصيّةِ في العلمِ كما جرت في القضاءِ.(١)

ميزانُ الحكمِ على النّاس

وهذا العدلُ مع نفسِه يصحبُه في الحكمِ على غيرِه، فلا يدعُ الحكايةَ المؤثّرةَ تعملُ عملَها في رجلٍ حتّى يبيّنَ موضعَ الحكمِ فيها، فقد ذكر ما عِيبَ به أبو العزّ القلانسيُّ من أخذِ المالِ على الإقراءِ، ثمّ قال: «نَصَّ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ أَخْذَ الْأُجْرَةِ عَلَى الْإِقْرَاءِ لَا يَشِينُ الْمُقْرِئَ»، فأخذُ الأجرةِ في نفسِه لا يُسقطُ عنده قدرَ المعلّمِ.(٢)

على أنّ هذا الإنصافَ لم يكنْ لينًا يجاملُ، فقد بلغه أنّ أبا عقيلٍ، شيخَ ماردين ومفتيَها، يروي إسنادًا إلى الشّاطبيّ يمرُّ بالكمالِ ابنِ فارسٍ، فكتب إليه يبيّنُ له أنّ الإسنادَ مفتعلٌ، وقال إنّ ابنَ فارسٍ لم يلقَ الشّاطبيَّ «بَلْ وُلِدَ بَعْدَهُ بِسِتِّ سِنِينَ»، ثمّ قال: «فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَقْبَلْ، وَصَمَّمَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا

(١) البيان والتّبيين، للجاحظ، ٢- ٣٣.

(٢) غاية النّهاية ٢- ١٢٩، في ترجمة أبي العزّ القلانسيّ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَرْجِعْ»، فأثبت ابنُ الجزريّ ذلك بعبارةٍ حادّةٍ، ثمّ ختم، فقال: «وَاللهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَهُ».(١)

فالحجّةُ حازمةٌ، وصاحبُ الدّعوى باقٍ معه في الدّعاءِ، وبين هذين الموقفَين يتبيّنُ الميزانُ، فهو لا يُدينُ رجلًا بما ليس ذنبًا، ولا يعفو عن خطأٍ في العلمِ لأنّ صاحبَه شيخٌ ومفتٍ.

صحبةُ الكتب

وللكتبِ في حياتِه منزلةٌ تفصحُ عنها حادثةٌ يسيرةٌ، فقد كانت عنده نسخةٌ مجلّدةٌ فيها لاميّةُ الشّاطبيّ ورائيّتُه بخطِّ الحجيجِ صاحبِ السّخاويّ، قال: «فَأُعْطِيتُ بِوَزْنِهَا فِضَّةً فَلَمْ أَقْبَلْ»، ثمّ قال بعدها مباشرةً: «وَلَقَدْ بَالَغَ النَّاسُ فِي التَّغَالِي فِيهَا وَأَخْذِ أَقْوَالِهَا مُسَلَّمَةً ... حَتَّى خَرَجُوا بِذَلِكَ عَنْ حَدِّ أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِ مَعْصُومٍ»، فهو يصونُ النّسخةَ ويأبى بيعَها بوزنِها فضّةً، ولا تمنعُه محبّتُها من نقدِ الغلوّ في أصلِها.(٢)

---

(١) غاية النّهاية ١- ٣٠٢، في ترجمة أبي عقيلٍ سريجا بنِ محمّدٍ، وفيه: «صحّة هذا الأستاذ»، وهو تصحيفٌ، والصّوابُ ما أثبتُّه من ط. الصّحابة ١- ٤٦٠: «صحّة هذا الإسناد»؛ لأنّ الكلامَ في الإسنادِ الّذي ادّعاه إلى الشّاطبيّ، وقد وصفه ابنُ الجزريّ قبلُ بأنّه «مفتعل».

(٢) غاية النّهاية ٢- ٢٢، في ترجمة الشّاطبيّ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وله مع الكتبِ الغائبةِ حديثٌ آخرُ، فهو يذكرُ كتابَ «الِانْتِصَارِ» لأبي العلاءِ الهمذانيّ، ثمّ يقول: «وَأَنَا أَتَلَهَّفُ لِلْوُقُوفِ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ مِنْ زَمَنٍ كَثِيرٍ، فَمَا حَصَلَ مِنْهُ وَلَا وَرَقَةٌ»، ثمّ يرجّحُ ضياعَه، فيقول متحفّظًا: «وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عُدِمَ مَعَ مَا عُدِمَ فِي الْوَقَعَاتِ الْجِنْكِزْخَانِيَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»، فهذا رجلٌ امتلأت يداه بالكتبِ، وما زال لكتابٍ لم يرَه مكانٌ في شوقِه.(١)

ولعلّ لسانَ حالِه ما قاله أبو حيّانَ الأندلسيُّ فيما رواه عنه لسانُ الدّين ابنُ الخطيب:

أَرَحْتُ فِي الْبَيْتِ مِنْ لِايْنَاسِ بِالنَّاسِ
كَمَا غَنِيتُ عَنِ الْأَكْيَاسِ بِالْيَاسِ
وَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ وَحْدِي لَا أَرَى أَحَدًا
بَنَاتُ فِكْرِي وَكُتْبِي هُنَّ جُلَّاسِي(٢)

ولئن ضنّ بنسختِه أن تُباعَ، فما كان يضنُّ بالعلمِ على أهلِه، فحين ختم كتابَه أجاز روايتَه لأولادِه وحفيداتِه، ثمّ

(١) غاية النّهاية ١- ٢٠٤، في ترجمة أبي العلاء الهمذانيّ.
(٢) الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثّامنة، للسان الدّين ابن الخطيب، ص٨٤، في ترجمة أبي حيّان.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وسّع الدّائرةَ فقال: «وَكَذَلِكَ لِجَمِيعِ أَهْلِ عَصْرِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».[١]

فكأنّه يجري على السّنّةِ الّتي قرّرها المحدّثُ العراقيُّ أبو الكرمِ خميسُ بنُ عليٍّ الحوزيُّ الواسطيُّ في أبياتٍ له في إعارةِ الكتبِ، منها:

كُتْبِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ مَبْذُولَةٌ • أَيْدِيهِمُ مِثْلُ يَدِي فِيهَا
أَعَارَنَا أَشْيَاخُنَا كُتْبَهُمْ • وَسُنَّةُ الْأَشْيَاخِ نُمْضِيهَا[٢]

محنةُ الظّلمِ ومشاهدُ الغزو

وهذا العقلُ المتثبّتُ لم يعِشْ في برجٍ عاجيٍّ، بل نزل إلى حيثُ يُحكَمُ ويُظلَمُ، فقد قال في ترجمةِ نفسِه إنّه «وَلِيَ قَضَاءَ الشَّامِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ»، ثمّ أتبعها بجملةٍ قصيرةٍ تحملُ نكبةً كاملةً، فقال: «ثُمَّ دَخَلَ الرُّومَ لِمَا نَالَهُ مِنَ الظُّلْمِ مِنْ أَخْذِ مَالِهِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ».[٣]

---

(١) غاية النّهاية ٢- ٤٠٩، في خاتمة الكتاب.

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصبهانيّ، قسم شعراء العراق، ج٤ م٢ ص٤٦٩-٤٧١، في ترجمة أبي الكرم خميس بن عليّ الحوزيّ، والبيتان الأوّل والرّابع من المقطوعة.

(٣) غاية النّهاية ٢- ٢٤٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

فهو يروي أنّ مالَه أُخذ ظلمًا، وأنّ ذلك حمله على الرّحيلِ عن بلادِه كلِّها، ثمّ لا يزيدُ في وصفِ ما جرى في كتابِه على أن يقول: «لِمَا نَالَهُ مِنَ الظُّلْمِ»، ولا ندري أكان هذا كلَّ ما قاله في محنتِه أو شعر به، فالخبرُ يحفظُ الإيجازَ ولا يحفظُ ما وراءَه، لكنّ الإيجازَ نفسَه اختيارٌ في كتابٍ يُكتبُ لمن يأتي بعدَه.

وفي بلادِ الرّومِ نزل عند مؤمنِ بنِ عليٍّ الرّوميّ، فلم يكنْ هناك عالمًا قاعدًا، بل خرج إلى الغزوِ، فاسمعْه يحكي عن مضيفِه، إذ يقول: «وَلَمَّا قَدَّرَ اللهُ أَنِّي دَخَلْتُ الرُّومَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ نَزَلْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يَأْلُ جُهْدًا فِي إِكْرَامِي، فَلَمَّا تَوَجَّهْتُ إِلَى غَزَاةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ثُمَّ إِلَى غَزَاةِ الْأَنْكُرُوسِ وَرَجَعْتُ، تَوَجَّهَ هُوَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَلَاقَانِي بِثَغْرِ نِيكَابُولِي، فَأَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ دُونَ الْبَلَدِ بِيَوْمٍ»، ثمّ يقول: «فَحَضَرْتُ جَنَازَتَهُ وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ».(١)

فهذا عالمٌ يمشي في الغزوِ، ثمّ يصلّي على من أكرمه، ولو وضعتَ ما قاله أوّلًا: «لَمْ يَأْلُ جُهْدًا فِي إِكْرَامِي» إلى جانبِ ما قاله آخرًا: «صَلَّيْتُ عَلَيْهِ» لرأيتَ رجلًا لا ينسى المعروفَ حتّى يردَّه في آخرِ موقفٍ يُردُّ فيه.

---

(١) غاية النّهاية ٢- ٣٢٤-٣٢٥، في ترجمة مؤمن بن عليّ الرّوميّ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

في قبضةِ المملوك

ثمّ هبّتِ العاصفةُ الّتي اقتلعتِ السّلطانَ بايزيدَ نفسَه، فاجتاح تيمورُ بلادَ الرّومِ، ووقع بايزيدُ في أسرِه، وكان ابنُ الجزريّ في جملةِ ما حمله الفاتحُ معه، وفي ذلك يقول: «ثُمَّ كَانَتِ الْفِتْنَةُ التَّمُرِيَّةُ بِالرُّومِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِمِائَةٍ، فَأَخَذَهُ أَمِيرُ تَمُرَ مِنَ الرُّومِ، وَحَمَلَهُ إِلَى بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَأَنْزَلَهُ بِمَدِينَةِ كَشَّ».[1]

ولا تزيدُ عبارتُه على أنّه أُخِذَ فحُمِلَ فأُنزِلَ، فلا نعرفُ منها كيف عُومِلَ، ولا ما أراده تيمورُ به، فإذا سألتَ عمّا صنع في غربتِه وجدتَه صنّف «شَرْحَ الْمَصَابِيحِ» في ثلاثةِ أسفارٍ، فكأنّه جعل الإقامةَ الّتي لم يخترْها خلوةً للتّأليفِ.[2]

ثمّ ماتَ تيمورُ في شعبانَ سنةَ سبعٍ وثمانِمائةٍ، فخرج إلى هراةَ ثمّ يزدَ ثمّ أصبهانَ، حتّى بلغ شيرازَ في رمضانَ سنةَ ثمانٍ، فإذا القفصُ يتبدّلُ ولا ينفتحُ، يقول: «فَأَمْسَكَهُ بِهَا سُلْطَانُهَا بِيرُ مُحَمَّدِ ابْنُ صَاحِبِهَا أَمِيرِ عُمَرَ شَيْخِ ابْنِ أَمِيرِ تَمُرَ»، ثمّ يقول: «ثُمَّ أَلْزَمَهُ صَاحِبُهَا بِيرُ مُحَمَّدٍ بِالْقَضَاءِ بِهَا وَبِمَمَالِكِهَا وَمَا

(١) غاية النّهاية ٢- ٢٤٩.

(٢) غاية النّهاية ٢- ٢٥١.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أُضِيفَ إِلَيْهَا كَرْهًا، فَبَقِيَ فِيهَا مُدَّةً، وَتَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ، وَمَنْ أَخَذَهَا لَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا».[1]

فالمدينةُ تتبدّلُ ملوكُها، والملوكُ يختلفون على كلِّ شيءٍ إلّا على أمرٍ واحدٍ، وهو ألّا يدعوا هذا الشّيخَ يخرجُ، وكان أهلُه حينئذٍ موزّعين بين بلدانٍ شتّى، وابنُه أحمدُ في الرّومِ لا يراه.

فلكأنّ الشّاعرَ الشّنقيطيَّ سيدي عبدَ الله بنَ أحمدَ دام عناه حين قال:

أَلَا لَيْـتَ شِعْـرِي هَلْ أَرَانِـي بِصِبْيَتِي
طَلِيقًا مِنَ ايْدِي النَّأْيِ وَالشَّمْلُ جَامِعُ[2]

طريقُ الحرمين

ثمّ جاء الفرجُ بعد سنين، كما يقول: «حَتَّى فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَخَرَجَ مِنْهَا مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَصْرَةِ»، ولكنّ الطّريقَ لم يكنْ قد فرغ من امتحانِه، فمن البصرةِ سار إلى نجدٍ فبلغ

(١) غاية النّهاية ٢- ٢٥٠.

(٢) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢٩٦، في ترجمة سيدي عبد الله بن أحمد دام.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

عنيزةَ، ثمّ خرج منها مع رفيقِه، قال: «فَأَخَذَهُمُ الْأَعْرَابُ مِنْ بَنِي لَامٍ بَعْدَ مَرْحَلَتَيْنِ، فَرَجَعَا إِلَى عُنَيْزَةَ».[١]

وما أحراه أن يقولَ ما قاله الشّنقيطيُّ مولودُ بنُ أحمد الجوادِ في سفرٍ ابتُلي فيه:

وَلَقَـدْ تَعْلَـمُ صَحْبِي أَنَّنِـي • بِلْوُ أَسْفَـارٍ إِذَا طَالَ السَّفَـرْ
لَسْتُ بِالْهِلْبَاجَةِ الرَّامِكِ لَا • يُصْـدِرُ الْهَمَّ إِذَا الْهَمُّ حَضَرْ[٢]

فعاد إلى عنيزةَ بعد المحنةِ، ونظم فيها «الدُّرَّةَ»، وظلّ عملُه متّصلًا على اضطرابِ حياتِه، فترك لنا من تلك الإقامةِ علمًا نقرؤه، وبقي من ألمِها ما لم يفصّلْه الخبرُ، ثمّ بلغ مأمَلَه فجاور بالمدينةِ ومكّةَ سنةَ ثلاثٍ وعشرين، وهو يسمّي ذلك فتحًا، فيقول: «وَفَتَحَ اللهُ تَعَالَى بِالْمُجَاوَرَةِ بِالْمَدِينَةِ وَبِمَكَّةَ»، فالفتحُ عنده ليس ولايةً تُنالُ، بل جوارٌ لبيتِ الله وقبرِ نبيّه بعد ربعِ قرنٍ من التّرحالِ.[٣]

(١) غاية النّهاية ٢- ٢٥٠.
(٢) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص٢١٣، في ترجمة مولود بن أحمد الجواد.
(٣) غاية النّهاية ٢- ٢٥٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

قافلةُ البيت

وفي هذا التّرحالِ كلِّه لم يكنْ وحيدًا، فقد حمل معه بيتَه، أو حمله بيتُه، وأوّلُ ما يلفتُك أنّه كان يغرسُ العلمَ في أولادِه قبل أن يعقلوه، ففي ترجمةِ أحدِ شيوخِه يقول: «سَمِعَهَا مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الطَّلَبَةِ وَابْنِي مُحَمَّدٌ فِي الثَّانِيَةِ»، ويحجُّ فيلقى فقيهَ تونسَ ابنَ عرفةَ، فيقول: «فَاسْتَجَزْتُهُ تُجَاهَ الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ، فَأَجَازَنِي وَأَوْلَادِي جَمِيعًا».(١)

وقد ورث الأبناءُ ترحالَ أبيهم، فابنُه أبو بكرٍ أحمدُ يقول فيه أبوه: «لَحِقَنِي بِكَثِيرٍ مِنْ كُتُبِي»، يعني إلى بلادِ الرّومِ، ثمّ قال إنّه أقام عنده «يُفِيدُ وَيَسْتَفِيدُ»، وولي الجامعَ الأكبرَ البايزيديَّ بمدينةِ بُرصةَ، وابنُه أبو الخيرِ قال فيه إنّه وُلد بأرضِ جلجوليةَ من فلسطينَ «بَعْدَ عَوْدِنَا مِنْ مِصْرَ وَإِتْمَامِ أَخِيهِ الْقِرَاءَاتِ»، ثمّ قال: «ثُمَّ لَحِقَنِي إِلَى مَدِينَةِ كَشَّ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ تَمُرَ»، ثمّ كان في صحبتِه إلى شيرازَ، فكأنّ الأسرةَ قافلةٌ تتبعُ الشّيخَ حيث ساقته الأقدارُ.(٢)

---

(١) غاية النّهاية ١- ٥، في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن فلاح؛ و٢- ٢٤٣، في ترجمة ابن عرفة.

(٢) غاية النّهاية ١- ١٣٠، في ترجمة ابنه أبي بكر أحمد؛ و٢- ٢٥٢-٢٥٣، في ترجمة ابنه أبي الخير.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

على أنّ القافلةَ لم تكنْ مجتمعةً دائمًا، فحين طلبه تيمورُ كان أحمدُ معه، فأرسله تيمورُ رسولًا عنه إلى السّلطانِ النّاصرِ فرجٍ، يقول الأبُ: «فَفَارَقَنِي نَحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً، هُوَ بِالرُّومِ وَأَنَا بِالْعَجَمِ»، ثمّ اجتمعا بمصرَ سنةَ سبعٍ وعشرين وثمانِمائةٍ، ثمّ حجّا معًا في العامِ التّالي، وفي غيبةِ الأبِ مجاورًا بمكّةَ شرح الابنُ «طَيِّبَةَ النَّشْرِ»، فقال أبوه: «فَأَحْسَنَ فِيهِ مَا شَاءَ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ نُسْخَةٌ بِالْحَوَاشِي الَّتِي كُنْتُ كَتَبْتُهَا عَلَيْهَا»، ثمّ ولّاه السّلطانُ وظائفَ أخيه أبي الفتحِ بدمشقَ، فيقول الأبُ: «فَحَضَرْتُ دَرْسَهُ مَعَ قُضَاةِ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ».[1]

فهذا شيخٌ في أواخرِ السّبعين يجلسُ في درسِ ابنِه بعد فراقٍ طويلٍ، ويحفظُ له فضلَ عملٍ أنجزه في غيبتِه، وفي سيرةِ العالمِ فرحٌ ينضجُ على مهلٍ حين يرى من علّمه قادرًا على تعليمِ غيرِه.

ويُشبهُها ما صوّره لسانُ الدّين ابنُ الخطيب حين ترجم لابنِه عبدِ الله في «الْكَتِيبَةِ الْكَامِنَةِ»، فقال: «فَحَسْبِي أَنْ أُقَدِّمَ مِنْهُ عَلَى تَذْيِيلِ هَذَا الْكِتَابِ بَعْدِي وَكِيلًا»، ثمّ دعا له، فقال: «وَأَنْسَأَ عُمُرَهُ تَأْجِيلًا»، فهما عالمان متعاصران، أحدُهما بغرناطةَ

(١) غاية النّهاية ١- ١٣٠، وقوبلت النّصوص على ط. الصّحابة ١- ٢٠٨.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

والآخرُ بالمشرقِ، يرجو كلٌّ منهما أن يرى ابنَه يحملُ ما حمل.[١]

فقدُ النّابغين

ومن هذه القافلةِ من لم يبلغْ آخرَ الطّريقِ، فابنُه الأكبرُ أبو الفتحِ محمّدٌ قال فيه إنّه «حَفِظَ عِدَّةَ كُتُبٍ فِي عُلُومٍ مُخْتَلِفَةٍ» من الفقهِ والأصولِ والنّحوِ والبلاغةِ وعلومِ الحديثِ، ولمّا دخل والدُه الرّومَ باشر وظائفَه بدمشقَ، قال: «وَدَرَّسَ وَأَقْرَأَ حَتَّى اخْتَرَمَتْهُ يَدُ الْمَنُونِ بِالطَّاعُونِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ ثَمَانِمِائَةٍ، وَوَالِدُهُ بِشِيرَازَ».[٢]

فقفْ عند آخرِ ما قال: «وَوَالِدُهُ بِشِيرَازَ»، ففيهما من الحزنِ ما لا تحملُه المراثي الطّوالُ، ابنٌ يموتُ بالطّاعونِ في بلدٍ، وأبوه ممنوعٌ من مغادرةِ بلدٍ آخرَ، لا يشهدُ مرضَه ولا يحضرُ دفنَه، ولم تجدِ التّرجمةُ ما تقولُه إلّا أن تسجّلَ أين كان الأبُ يومئذٍ.

(١) الكتيبة الكامنة، للسان الدّين ابن الخطيب، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٢) غاية النّهاية ٢- ٢٥٢، في ترجمة ابنه أبي الفتح.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وكأنّما عناه ابنُ رازِكَه الشّنقيطيُّ بقولِه في مرثيّةٍ له:

فَصَاحِبْ عَلَيَّ الصَّبْرَ فِيهِ وَآخِهِ

فَمَحْمُودَةٌ عُقْبَى مَنِ الصَّبْرُ صَاحِبُهْ[1]

ويظهرُ هذا الحزنُ على النّبوغِ المنقطعِ في غيرِ أهلِ بيتِه أيضًا، فقد ترجم لموسى الشّهبيّ الّذي مات بالطّاعونِ سنةَ أربعٍ وثمانين وسبعِمائةٍ وأبوه حيٌّ يحتسبُه، فعدّ ما كتب وعلّق وأفاد وصنّف، ثمّ قال: «وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ آيَةً فِي هَذَا الْعِلْمِ»، وهو أسفٌ على مستقبلٍ رأى أوّلَه فرجا آخرَه، ثمّ انقطع، وبين هذا الشّابِّ وأبي الفتحِ شبهٌ مؤلمٌ، فكلاهما حصّل كثيرًا في زمنٍ قصيرٍ، وكلاهما أخذه الطّاعونُ قبل أن يبلغَ ما يُرجى له.[2]

سَلْمى

ومن أخبارِ البيتِ نصلُ إلى سلمى، يترجمُ لها أبوها في كتابِه فيبدأُ بالدّعاءِ قبل أن يذكرَ شيئًا من علمِها، فيقول: «سَلْمَى بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ أُمُّ الْخَيْرِ ابْنَتِي، نَفَعَ اللهُ تَعَالَى بِهَا، وَوَفَّقَهَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُهَا دُنْيَا وَأُخْرَى»، ثمّ يعدُّ ما حصّلته بفرجٍ لا

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص١٧، في ترجمة ابن رازكه.

(٢) غاية النّهاية ٢- ٣١٦-٣١٧، في ترجمة موسى الشّهبيّ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

يُخفيه، فيقول: «وَتَعَلَّمَتِ الْعَرُوضَ وَالْعَرَبِيَّةَ، وَكَتَبَتِ الْخَطَّ الْجَيِّدَ، وَنَظَمَتْ بِالْعَرَبِيِّ وَالْفَارِسِيِّ، هَذَا وَهِيَ فِي ازْدِيَادٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَقَرَأَتْ بِنَفْسِهَا الْحَدِيثَ، وَسَمِعَتْ مِنِّي وَعَلَيَّ كَثِيرًا، بِحَيْثُ صَارَ لَهَا فِيهِ أَهْلِيَّةٌ وَافِرَةٌ».(١)

فهذه امرأةٌ في القرنِ التّاسعِ تنظمُ بلسانَين، وتعرفُ العروضَ، وتجوّدُ الخطَّ، وقرأتِ الحديثَ بنفسِها، وسمعت من أبيها وفي مجالسِه كثيرًا، وفي الكتابِ صوتُ سلمى أيضًا، فقد كتبت ترجمةَ معلّمِها طاهرِ بنِ عربٍ، تقول فيها: «حَتَّى صَارَ مُعَلِّمِي، وَمِنْهُ تَعَلَّمْتُ الْعَرُوضَ»، ثمّ تختمُها بتوقيعِها، فتقول: «وَكَتَبَتْهُ سَلْمَى بِنْتُ الْمُؤَلِّفِ».(٢)

وقد أكملت ختمتَها على أبيها في الثّاني عشرَ من ربيعٍ الأوّلِ سنةَ اثنتين وثلاثين وثمانِمائةٍ، فكانت من أفراحِ أواخرِ عمرِه، إذ توفّي بعدها بسنةٍ إلّا سبعةَ أيّامٍ، وحين أجاز روايةَ كتابِه لم ينسَ البناتِ، فقال وهو يعدُّ أولادَه: «وَفَاطِمَةُ وَعَائِشَةُ»، ثمّ قال: «وَكَذَلِكَ أَجَزْتُ لِفَاطِمَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتَيِ ابْنِي أَبِي الْفَتْحِ الْمَذْكُورِ، وَلِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ الْمَذْكُورِ أَيْضًا»،

---

(١) غاية النّهاية ١- ٣١٠، في ترجمة ابنته سلمى.

(٢) غاية النّهاية ١- ٣٤٠-٣٤١، في ترجمة طاهر بن عرب؛ وغاية النّهاية (ط. الصّحابة) ٢- ٥١٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

فهو رجلٌ يعدُّ بناتِه وحفيداتِه في سلسلةِ العلمِ كما يعدُّ الذّكورَ.(١)

> ونظيرُها ما نقله المقّريُّ عن ابنِ حيّان في عائشةَ بنتِ أحمدَ القرطبيّةِ، إذ قال: «لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهَا مِنْ حَرَائِرِ الْأَنْدَلُسِ مَنْ يَعْدِلُهَا عِلْمًا وَفَهْمًا وَأَدَبًا وَشِعْرًا وَفَصَاحَةً»، ثمّ قال: «وَكَانَتْ حَسَنَةَ الْخَطِّ، تَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ»، فهما امرأتان بينهما أربعةُ قرونٍ وبحرٌ، جمعهما الخطُّ الحسنُ والعلمُ والشّعرُ.(٢)

صديقٌ وفيّ

وكما كان أبًا رحيمًا كان صديقًا وفيًّا، ويتّضحُ ذلك في حكايةِ فضلِ اللهِ الكازرونيّ إذا قرأتَ أوّلَها مع آخرِها، فقد كان الرّجلُ شيخَ شيرازَ ومقرئَها، فلمّا دخلها ابنُ الجزريّ سنةَ ثمانٍ وثمانِمائةٍ اجتمع به وذاكره، قال: «فَرَأَيْتُهُ مُسْتَحْضِرًا، وَشَقَّ عَلَيْهِ الْإِقْرَاءُ بِالْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، ثُمَّ رَجَعَ وَحَضَرَ عِنْدِي وَاسْتَغْفَرَ»، ثمّ صفا ما بينهما، وقال إنّ الكازرونيَّ كان «حَسَنَ الْكِتَابَةِ جِدًّا»، فقال: «وَأَرَدْتُ أَنْ يَكْتُبَ لِيَ الطَّيِّبَةَ فَاسْتَحْيَيْتُ

(١) غاية النّهاية ١- ٣١٠، في تاريخ ختمة سلمى؛ و٢- ٢٥١، في تاريخ وفاته؛ و٢- ٤٠٩، في خاتمة الكتاب.

(٢) نفح الطّيب، للمقّريّ، ٤- ٢٩٠، نقلًا عن «المقتبس» لابن حيّان.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مِنْهُ»، ثمّ قال: «وَاحْتَاجَ بِأَخَرَةٍ، فَكُنْتُ أَمُدُّهُ حَتَّى تُوُفِّيَ ... بِشِيرَازَ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ».[1]

فهو تعثّرٌ ثمّ رجوعٌ، ثمّ حياءٌ من أن يطلبَ منه عملًا وهو قادرٌ عليه، ثمّ إمدادٌ له حين احتاج، وصلةٌ دامت حتّى صلّى عليه.

ولقي المحدّثَ ابنَ المحبِّ الصّامتَ، وكان رجلًا لا يألفُ النّاسَ، فقال عنه: «لَا يَأْلَفُ لِأَحَدٍ غَيْرِي، رُبَّمَا جَاءَنِي إِلَى مَنْزِلِي فَأَسْمَعَنِي وَأَسْمَعَ أَهْلِي وَأَوْلَادِي»، وقال فيه بيتَين يورّي فيهما بين صمتِه وصناعتِه، قدّمهما فقال: «وَمِنْ نَظْمِي فِيهِ»، ثمّ قال: «مُحَدِّثُ الْآفَاقِ مَعَ صَمْتِهِ ... فَاعْجَبْ لِذَا الْمُحَدِّثِ الصَّامِتِ».[2]

وكان صاحبُه يحيى بنُ زكريّا الضّريرُ يُنشدُه ألغازًا من نظمِه، فيقول في أحدِها: «فَأَجَبْتُهُ فِي الْحَالِ»، وحجّ مع ابنِ عرفةَ ثمّ رجعا إلى مصرَ، قال: «فَاجْتَمَعْتُ بِهِ كَثِيرًا، وَأَنْشَدْتُهُ وَأَنْشَدَنِي»، ثمّ حكم فيه حكمًا فيه إنصافُ من لا يحسدُ، فقال: «وَلَمْ أَرَ مَغْرِبِيًّا أَفْضَلَ مِنْهُ»، وصحب قاضيَ المالكيّةِ

---

(١) غاية النّهاية ٢- ١٢، في ترجمة فضل الله الكازرونيّ.

(٢) غاية النّهاية ٢- ١٧٥، في ترجمة ابن المحبّ الصّامت، وفي المطبوع «لهذا»، وبه ينكسر الوزن.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

بدمشقَ، وقال فيه: «وَكَانَتْ لَهُ سُؤَالَاتٌ عَجِيبَةٌ وَآدَابٌ ظَرِيفَةٌ»، فهو يأنسُ بالظُّرفِ، ويحبُّ السّؤالَ العجيبَ، ويطربُ للشّعرِ يُنشَدُه ويُنشِدُه، وتعملُ بديهتُه في مجلسِ أصحابِه.(١)

بين البرِّ والتّحفّظ

وهذا القلبُ الأنيسُ بأصحابِه كان يأنسُ كذلك بالصّالحين أحياءً وأمواتًا، فقد وقف بهِيتَ على قبرِ عبدِ الله بنِ المباركِ، فقال كلمةً قصيرةً تشبهُ صاحبَها: «زُرْتُهُ وَتَبَرَّكْتُ بِهِ»، ويذكرُ في ترجمةِ الإمامِ الشّافعيّ أنّه زار قبرَه، فيقول: «وَلَمَّا زُرْتُهُ قُلْتُ: زُرْتُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ»، ويقول: «لِأَنَالَ مِنْهُ شَفَاعَةً»، وشهد بالقدسِ جنازةَ رجلٍ صالحٍ من أهلِ صَرْخَدَ، فلم ينسَ أن يذكرَ مَن كان معه، فقال: «وَحَضَرْنَاهُ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ»، يعني الشّيخَ أبا بكرٍ الموصليَّ، وقد قال في الموضعِ نفسِه: «وَصَحِبَ سَيِّدِي الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ الْمَوْصِلِيَّ».(٢)

---

(١) غاية النّهاية ٢- ٣٧٠، في ترجمة يحيى بن زكريّا الضّرير؛ و٢- ٢٤٣، في ترجمة ابن عرفة؛ و٢- ١٧١، في ترجمة المسلّاتيّ.

(٢) غاية النّهاية ١- ٤٤٦، في ترجمة عبد الله بن المبارك؛ و٢- ٩٧، في ترجمة الإمام الشّافعيّ؛ و١- ٣٣٤، في ترجمة صالح الصّرخديّ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

غير أنّ هذا الأُنسَ لم يُطفئْ في عقلِه سراجَ النّقدِ، فحين زار القبرَ المنسوبَ إلى ورشٍ بمصرَ قال: «فَزُرْتُهُ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ»، ففي الجملةِ الواحدةِ تجتمعُ الزّيارةُ والتّحفّظُ، قلبٌ يقفُ على القبرِ برًّا ورجاءً، وعقلٌ يأبى أن يجزمَ بنسبةٍ لم تثبتْ عنده.(١)

وهذه مواقفُ يقرؤها المحبُّ بعينِ الإجلالِ لصاحبِها، ثمّ يستأذنُه في أن يضعَ إلى جوارِها ما رجّحه المحقّقون، وفي مقدّمتِهم محرّرُ المذهبِ الّذي ينتسبُ إليه ابنُ الجزريّ، فإنّ النّوويَّ نقل عن العلماءِ كراهةَ مسحِ قبرِ النّبيّ ﷺ وتقبيلِه، وجعل الأدبَ في البعدِ عنه كما يُبعَدُ عنه في حياتِه، ثمّ علّل ذلك، فقال: «لِأَنَّ الْبَرَكَةَ إِنَّمَا هِيَ فِيمَا وَافَقَ الشَّرْعَ»، فإذا كان هذا في أشرفِ بقعةٍ ضمّت أشرفَ جسدٍ فما سواها أولى بأن يُوقَفَ فيه عند الحدِّ، والشّفاعةُ رجاءٌ يُرفعُ إلى مالكِها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، فالزّيارةُ سنّةٌ يُؤجرُ صاحبُها، والسّلامُ على الميّتِ والدّعاءُ له برٌّ به، وأمّا التماسُ

(١) غاية النّهاية ١- ٥٠٣، في ترجمة ورش.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

البركةِ من القبرِ والشّفاعةِ من صاحبِه فذلك موضعُ التّوقّفِ عندهم.[1]

وابنُ الجزريّ نفسُه لم يُرسلِ القولَ إرسالًا، فقد قال في «عُدّة الحصن الحصين»: «وَجُرِّبَ اسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ بِشُرُوطٍ مَعْرُوفَةٍ»، وقد شرح الشّوكانيُّ كتابَه فقيّد هذه الكلمةَ بألّا تنشأَ عنها مفسدةٌ، وتناولها في رسالةٍ أفردها لإخلاصِ التّوحيدِ، فلم يُغلظْ لصاحبِها، بل ذكر أنّ زيارةَ القبورِ من أجلِّ الطّاعاتِ، وأنّ الدّعاءَ بعد العملِ الصّالح من مظانّ الإجابةِ، ثمّ التمس له عذرًا، فقال: «وَلَعَلَّهُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- حَمَلَ ابْنَ الْجَزَرِيّ وَغَيْرَهُ عَلَى مَا قَالُوهُ مِن اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ لَا تَعْزُبُ عَنْ قُبُورِهِمْ»، ثمّ وضع الحدَّ الفاصلَ، فقال: «لَكِنَّ الِاعْتِبَارَ بِالْمَقَاصِدِ»، وهذا أعدلُ ما يُقرأُ به الموقفُ، فيُحفظُ للإمامِ قدرُه وحسنُ قصدِه، ويُحفظُ للسّنّةِ حدُّها، والرّجلُ الّذي قال عند قبرِ ورشٍ «وَاللهُ

(١) المجموع شرح المهذّب، للنّوويّ، ٨- ٢٧٥، ط. المنيريّة؛ والآية من سورة الزّمر: ٤٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

تَعَالَى أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ» أحقُّ النّاسِ بأن يُقرأَ كلامُه بهذا التّحفّظِ الّذي علّمَنا إيّاه.(١)

ولم يكنِ ابنُ الجزريّ في شبابِه ذلك الرّحّالةَ الّذي لا يُردُّ، فقد بلغه خبرُ خطيبِ غرناطةَ، فهمّ بالرّحلةِ إليه، ثمّ قال: «وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى الرِّحْلَةِ إِلَيْهِ فَمَنَعَنِي وَالِدَايَ»، ولم يزدْ على ذلك شيئًا، فالفتى الّذي سيطوفُ بعد ذلك من القاهرةِ إلى بُرصةَ إلى كَشَّ إلى شيرازَ إلى عنيزةَ وقف عند كلمةِ أبوَيه، ولم يرَ في طاعتِهما ما يحتاجُ إلى اعتذارٍ أو تعليلٍ.(٢)

المنزلُ الأخير

وكانت الرّحلةُ الأخيرةُ إلى شيرازَ نفسِها، المدينةِ الّتي مُنع من مغادرتِها سنين، ولا تذكرُ النّصوصُ الّتي بين أيدينا لماذا عاد إليها، وكان قد أنشأ فيها دارًا للقرآنِ، تذكرُها سلمى في ترجمةِ معلّمِها طاهرٍ داخلَ مدينةِ شيرازَ.(٣)

---

(١) تحفة الذّاكرين بعدّة الحصن الحصين، للشّوكانيّ، ص٧٤، وفيها متن ابن الجزريّ؛ والفتح الرّبّانيّ من فتاوى الإمام الشّوكانيّ، رسالة «الدّرّ النّضيد في إخلاص التّوحيد»، ١- ٢٩٣.

(٢) غاية النّهاية ٢- ٢٨٥، في ترجمة اللّوشيّ خطيب غرناطة.

(٣) غاية النّهاية ١- ٣٤١.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ويحكي تلميذُه الّذي ذيّل ترجمتَه أنّ وفاتَه كانت في الخامسِ من ربيعٍ الأوّلِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثمانِمائةٍ، ويقول إنّه «دُفِنَ بِدَارِ الْقُرْآنِ الَّتِي أَنْشَأَهَا»، ويصفُ ازدحامَ النّاسِ على جنازتِه، ثمّ يختمُ بكلمةٍ فيها حرقةُ التّلميذِ، فيقول: «وَقَدِ انْدَرَسَ بِمَوْتِهِ كَثِيرٌ مِنْ مَهَامِّ الْإِسْلَامِ»، فالمدينةُ الّتي لم يُؤذَنْ له بمغادرتِها صارت مثواه، والدّارُ الّتي بناها للقرآنِ صارت آخرَ منازلِه.[1]

الخاتمة

ثمّ ترجعُ بك الذّاكرةُ إلى ذلك المشهدِ الأوّلِ في المدرسةِ النّاصريّةِ، حين رفع الشّيخان أيديَهما، وهو يقول: «وَأَنَا أَنْظُرُ»، فقد استُجيبتِ الدّعوةُ، وعاش الفتى نحوًا من اثنتين وثمانين سنةً.

ولكأنّ الشّاعرَ الشّنقيطيَّ أمحمّدَ ابنَ الطّلبِ عناه حين قال:

وَمَـا مَـاتَ مَـنْ أَبْقَـى ثَنَـاءً مُخَلَّـدًا

وَمَا عَاشَ مَنْ قَدْ عَاشَ عَيْشًا مُذَمَّمَا[2]

(١) غاية النّهاية ٢- ٢٥١، من زيادة تلميذه في ذيل ترجمته.

(٢) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص١٢٧، في ترجمة أمحمّد ابن الطّلب.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وحين تعودُ إلى تلك الدّعوةِ تستطيعُ أن ترى ما أبقاه ذلك العمرُ من آثارٍ صغيرةٍ واضحةٍ، شهادةً لمعلّمِ صغارٍ لم ينسَ فضلَه، وتصحيحًا لظنٍّ كان يراه صوابًا، وذكرًا لكتابٍ لم يظفرْ منه بورقةٍ، ودعاءً جمع فيه نفسَه مع رجلٍ اشتدّ في نقدِه، وحضورًا لدرسِ ابنٍ طال غيابُه عنه، وتلك الآثارُ تقرّبُ إلينا ابنَ الجزريّ كما تقرّبُه مصنّفاتُه الكبرى، لأنّ فيها طريقتَه في معرفةِ النّاسِ وحفظِ حقوقِهم، وفي احتمالِ ما يصيبُه، وفي الرّجوعِ إلى ما يثبتُ عنده، فقد حفظ في تراجمِ أصحابِه شيئًا من حياتِه، فإذا قرأناها على مهلٍ عاد إلى الاسمِ المشهورِ وجهُه، وإلى الإمامِ صوتُ الرّجلِ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ثبتُ المصادر

١- غاية النّهاية في طبقات القرّاء، لشمس الدّين ابن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)، عُني بنشره ج. برجستراسر (القاهرة: مكتبة الخانجيّ، ١٣٥١هـ)، والإحالةُ على ترقيمِه في مصوّرة مكتبة ابن تيميّة، ٣ أجزاء، وهي المعتمدة في الإحالات.

٢- غاية النّهاية في طبقات القرّاء، تحقيق جمال الدّين محمّد شرف ومجدي فتحي السّيّد، طنطا: دار الصّحابة للتّراث، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، وإليها يُشار بـ«ط. الصّحابة».

٣- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لأحمد بن الأمين الشّنقيطيّ (ت ١٣٣١هـ)، مصر: الشّركة الدّوليّة للطّباعة، ط٥، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤- نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، لأحمد بن محمّد المقّريّ التّلمسانيّ (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت: دار صادر، ٨ أجزاء.

٥- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثّامنة، للسان الدّين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت: دار الثّقافة، ط١، ١٩٦٣م.

٦- خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصبهانيّ الكاتب (ت ٥٩٧هـ)، قسم شعراء العراق، ج٤ م٢، تحقيق محمّد بهجة الأثريّ، بغداد: وزارة الإعلام العراقيّة، سلسلة كتب التّراث (٢٤).

٧- خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، ج٢، تحقيق آذرتاش آذرنوش، نقّحه وزاد عليه محمّد المرزوقي

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ومحمّد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى، تونس: الدّار التّونسيّة للنّشر، ١٩٧١م.

٨- البيان والتّبيين، للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ، ٣ أجزاء.

٩- تاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) المسمّى ديوان المبتدأ والخبر، والمقدّمة في جزئه الأوّل، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكّار، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٠- الشّقائق النّعمانيّة في علماء الدّولة العثمانيّة، لطاشكبري زاده (ت ٩٦٨هـ)، بيروت: دار الكتاب العربيّ.

١١- مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم، لطاشكبري زاده، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٣ أجزاء.

١٢- المجموع شرح المهذّب، لأبي زكريّا يحيى بن شرف النّوويّ (ت ٦٧٦هـ)، القاهرة: إدارة الطّباعة المنيريّة، ١٣٤٤-١٣٤٧هـ.

١٣- تحفة الذّاكرين بعدّة الحصن الحصين، لمحمّد بن عليّ الشّوكانيّ (ت ١٢٥٠هـ)، بيروت: دار القلم، ط١، ١٩٨٤م.

١٤- الفتح الرّبّانيّ من فتاوى الإمام الشّوكانيّ، تحقيق محمّد صبحي حلّاق، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ١٢ جزءًا.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

من وراءِ المقرئ

عرفه النّاسُ إمامًا في القراءاتِ،

وفي «غاية النّهاية» نلتقيه تلميذًا يقصدُ شيخَه في جوفِ اللّيلِ،

ومحقّقًا يرجعُ عن ظنّه إذا تبيّن له خطؤُه،

وأبًا يجلسُ في درسِ ابنِه،

وصديقًا يرعى ودَّ أصحابِه.

تجمعُ هذه الكرّاسةُ تلك الملامحَ

من ترجمتِه لنفسِه وثنايا كتابِه،

وتقرؤها على مهلٍ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية